رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

العدد (4255) السنة السادسة عشرة - الأربعاء (15) آب 2018

WWW. almadasupplements.com

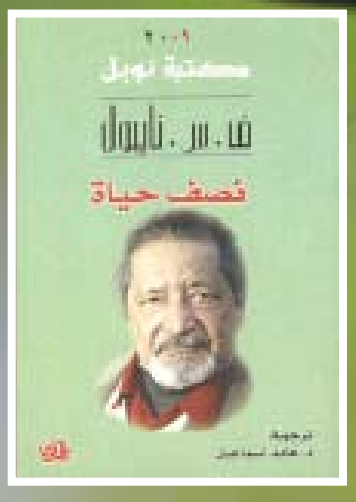

ف. س نايبول

2018 - 1932

(نصف حياة) نايبول نموذج للرواية ما بعد الكولونيالية

رواية ما بعد الكولونيالية هي تمثيل أولاً لطرف ما كان بإمكانه أن يمثل نفسه تحت وطأة الهيمنة الكولونيالية، وهي تفكيك ثانياً للمعادلات، وعلاقات القوة، وأشكال التمثيل القديمة ومسوغاتها.

ولأن الرواية ما بعد الكولونيالية ليست شعاراتية، على الرغم من كونها سياسية في المآل الأخير، فإنها تتخلى عن لغة الانفعال الحادة والصارمة التي وسمت الرواية ذات الطابع الثوروي، للغة أخرى أكثر هدوءاً وعقلانية، وهي لا تبغي سوى أن تسرد بموضوعية ليست نقية تماماً، لكنها غير متبجحة، ومتحررة من الموجّه القبلي/ الدوغمائي، وصانعة لرؤية نامية إلى العالم. وهذه الرؤية تنكر الفكرة التي توزع العالم ميكانيكياً إلى ثنائيات متقابلة، وتقول بالمطلق، وتتوهم امتلاك الحقيقة..

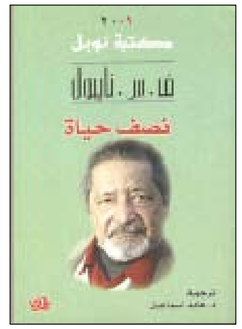

سعد محمد رحيم

إنها تتحدث عن صراعات في مستويات عديدة متداخلة ومركبة، لن تخرج منها الأطراف المتصارعة فيما بعد كما كانت.. إن أول ما سيجري تفنيده هو أسطورة النقاء.. نقاء العرق والهوية الثقافية لصالح فكرة الهجنة، والوحدة الإنسانية للعالم. فهل تراها. رواية ما بعد الكولونيالية.. الرواية بالذات وليست أي جنس أدبي آخر. ترهص لعولمة مختلفة أشد رسوخاً وإنسانية؟. وبعد أسطورة النقاء سيتم الإطاحة بادعاء البراءة.. لا أحد بريء تماماً في مسرح الجريمة الكبرى، بما فيه الضحية، ولن يخرج منه أي كان مثلما كان.. لا أحد سيسلم من الهول، ومن حكم التاريخ، ومرة أخرى ليس التاريخ الرسمي والأكاديمي، بل ذاك الذي يدشنه السرد على هواه.

×××

في رواية "نصف حياة" لا ينسى الروائي "ف. س. نايبول" أن ينبهنا، منذ البدء، إلى أنه يكتب عملاً فنياً تخيلياً، ولا يدبج سيرة ما، أو يروي وقائع تاريخية.

(هذا الكتاب اختراع.. إنه ليس دقيقاً حيال ما يصف من بلدان وفترات وحالات) ص٥. فهو يعترف بأنه يخترع.. يتخطى سياق الواقع والتاريخ، ومقصده الفن. فلا تهمه الدقة والحقيقة والصدق الواقعي المباشر، ولعله لا يؤمن بإمكانية تحققها، والوصول إليها.. ربما كان يحذر من سوء الفهم وسوء التأويل، أو يتجنب اتهامات المؤدلجين الدوغمائيين، والموتورين وحراس الهويات.. أم تراه يخدعنا نايبول هذا؟.

نتعرف في مفتتح الرواية على "ويلي تشاندران/ الشخصية الرئيسة" وهو يعاني من اسمه الوسط "سومرست".. يقول له والده: (سميت على اسم كاتب إنكليزي عظيم) ص٧. ووالده هذا كاهن براهمي فقير يقضي معظم وقته في معبده.. يأتي الروائي "سومرست موم" لرؤيته، في أثناء زيارته للهند، وهو في باحة المعبد، وكان قد قرر الصوم عن الكلام، فيكتب عنه الروائي فيما بعد بضع صفحات في كتاب رحلات تصدر له في لندن. ومع ذلك الاسم "سومرست" يشعر "ويلي تشاندران" بأول عملية اجتثاث له من واقعه، وبأول اهتزاز يضرب عالمه المستقر، وبأول إشكال يصيب هويته الصافية.

في هذه الرواية "نصف حياة" لن نقع على وحدة سرد، وفيما عدا شخصية "ويلي" فإن بقية شخصيات الرواية تدخل وتخرج من وإلى فضاء السرد تاركة أثراً بهذا القدر أو ذاك، فلا نقع على حدث بعينه يربط أجزاءه خيط درامي متماسك، بل على مجموعة من الأحداث المنفصلة التي هي بعض من التفاصيل الأساسية لحيوات الشخصيات وهي تلتقي في علاقات تفتقد الرسوخ، على الرغم من عدم خلوها من الطابع الإنساني، في كثير من الحالات. وتفترق (تلكم الشخصيات) ربما من دون أسف أو ندم عميق، وهذه الحيوات والأحداث كلها قاسمها المشترك "ويلي تشاندران" مشاركاً فيها، أو شاهداً عليها، أو مستمعاً لحكاياتها.. والآن، هل نستطيع أن نستنتج أن كل شخصية هي نتاج تشوه وارتباك تاريخيين ولّدهما الوضع الكولونيالي، وما بعده بحيثياته وتأثيراته؟.

نتنقل مع "ويلي" بين ثلاثة أمكنة رئيسة:

. الهند الخارجة لتوّها من فترة الاستعمار الكولونيالي.

. لندن/ العاصمة المتروبولية.

. مستعمرة برتغالية في أفريقيا الشرقية.

وفي هذه الأمكنة نلتقي ببشر من أصناف وأعراق واتجاهات عديدة، فنكوّن صورة للعالم مقطّعة ومتشظية، يلملمها السرد على وفق حركة السارد (المكانية) وهو يتابع تنقلات "ويلي"، وعبر الخط المتصاعد، في أغلب الأحيان، للزمن الكورنولوجي، إذ لا هوس مفتعل لدى الروائي للتلاعب بالزمن وتهشيمه من غير داع أو مسوغ.

ليس لويلي تشاندران ارتباط صميم بأيما مكان، ويكاد يكون خالياً من الشعور بالحنين إلى ماضيه، وهو في نهاية الأمر لا يتحدث عن أحلام كبيرة.. إنه مقتلع حسياً ومعنوياً من كل واقع، ولذا يكون من الصعب تحديد هويته، أو بعبارة أخرى تحديد وعيه بهويته. وربما لم يكن هذا يهمه في قليل أو كثير.. بيد أننا نجد، أخيراً، أن وعيه بهويته وعي إشكالي متحول في عالم يفصح يوماً بعد يوم عن هشاشة حدوده الداخلية. فـ"ويلي" متأرجح ثقافياً، وفي أوقات معينة كان يخشى أن ينسى اللغات التي يعرفها بسبب تنقلاته.. كان يعيش كآبته الخاصة تحت وطأة شعوره بالاغتراب. ونتيجة لهذا كله. لن نستطيع بعد قراءتنا للرواية. أن نعرف له أي اتجاه، فهو كمن فقد بوصلته الداخلية، وحتى حين يقرر في النهاية. نهاية الرواية. مغادرة أفريقيا التي قضى فيها ثماني عشرة سنة، من دون أسباب واضحة، لن نستشف لديه فكرة عن محطته اللاحقة..

إنه ابن كل مكان، وغريب في كل مكان، وإحساسه بالغربة يشحنه بلامبالاة عميقة، كما لو أن كل ما يجري معه وحوله لا يعنيه في شيء. وباستثناء سلطة رغبته الجنسية. وحتى هذه لا تبدو عاتية أو متطرفة. لا تدوم لديه الهواجس والرغبات، بما فيها رغبته في الكتابة.. طبع في لندن مجموعة قصصية واحدة، وكانت تلك مناسبة للتعرف على آنا التي ستغير أقداره لمدة طويلة نسبياً، ولم يعاود الكتابة بعد ذلك.

إن مسحة من العدمية تسم سلوك "ويلي" دائماً في علاقته بذاته، وبمن يصادفه، فهو لن ينغمر بعلاقة حب ملتهبة أبداً، ولن يعقد صداقات متينة، وليس له ارتباط جذري بعائلته، فهو بدءاً يحنق على أبيه، ويعده منافقاً ومتعالياً، وعلى العموم يطغى على شخصيات الرواية الشعور بخيبة الأمل واللاجدوى. فها هو تشاندران الأب/ البراهمي الراسخ في مكانه/ معبده يقول لابنه عن دراسته لسنة واحدة في الجامعة "قبل أن أتخلى بحماقة عن الثقافة الإنكليزية، استجابة لنداء المهاتما، مقوضاً نفسي مدى الحياة." ص٨.

وفي الصفحة الأخيرة من الرواية يخبر الابن ويلي زوجته "آنا" بأنه يريد أن يطلقها قائلاً "الآن الشطر الأفضل من حياتي ولّى، ولم أفعل شيئاً." ص٢٤٥. كما لو أن كل شخصية من شخصيات الرواية ليست، في نهاية المطاف، سوى مجموع خيباته.

يقيم "ويلي" في لندن علاقات صداقة مع مهاجرين أجانب . ملونين في الغالب . وعلاقات جنسية مع عشيقات أصدقائه، وتمضي حياته هناك بشكلها الاعتيادي الذي تكسر رتابته أحياناً بعض الأحداث المفاجئة حتى تتفجر النزعات العنصرية ضد الملونين والأجانب، ويرى كيف يهرب أصدقاؤه، وكيف يجد نفسه وحيداً، ويبقى عزاؤه في هذه المحنة "آنا" التي تعجب بمجموعته القصصية وتصادقه، ومن ثم تقترح عليه أن يذهب معها إلى إحدى المستعمرات البرتغالية في أفريقيا الشرقية حيث موطنها، فيوافق لأن لا شيء آخر لديه يفعله في لندن بعدما بات وجوده طالباً في الجامعة في مهب الريح. وفي أفريقيا يفكر في أن يعود بعد أسبوع أو أكثر لكنه يلبث ثمة ثمانية عشر عاماً زوجاً لآنا، ومشرفاً على أملاك أهلها. وخلال هذه المدة الطويلة لا تكاد تحدث أشياء ذات أهمية كبيرة.. تختفي محفظته مع نقوده وجواز سفره، لكنه يعثر عليها فيما بعد.. وكان يمضي بصحبة زوجته بعض الوقت مع الأفارقة المتحدرين من أصول برتغالية، إذ يجري الترحيب بهما، وفي النهاية يغوي زوجة مشرف أملاك عائلة "كوريا" الثرية التي كانت تقيم مآدب الأحد، وحين تندلع الاضطرابات الثورية في الجوار، ويتسلم الثوار السلطة، ويبدو أن أشياء كثيرة تتغير، وأن العهد الكولونيالي آخذ في الزوال، يقترح تطليق زوجته:

"عندما عادت لاحقاً قلت لها: "أنا في الواحدة والأربعين. تعبت من عيشي حياتك."

"أنت أردت ذلك يا ويلي. بل طلبته، وكان عليّ أن أفكر في ذلك."

"أعرف. فعلت كل شيء من أجلي. جعلت الحياة سهلة علي هنا. لم يكن بإمكاني العيش هنا بدونك. عندما سألتك في لندن كنت خائفاً. لم يكن لدي مكان أذهب إليه. كانوا على أهبة رميي خارج الكلية في نهاية الفصل، ولم اكن أعلم ماذا أفعل لكي أنجو. ولكن الآن الشطر الأفضل من حياتي ولّى. ولم أفعل شيئاً."

"أنت خائف من الحرب الجديدة."

"حتى إن ذهبنا إلى البرتغال، حتى إن سمحوا لي بالدخول إلى هناك، فستظل تلك حياتك. مضى عليّ وقت طويل وأنا مختبئ."

قالت آنا: "ربما لم تكن حقاً حياتي أنا أيضاً." ص٢٤٥.

إذن، ما جرى سرده هو "نصف حياة" ويلي تشاندران الذي يعد شخصية نموذجية في الأدب ما بعد الكولونيالي، فهو أولا هندي جاء في أعقاب استقلال بلاده من الاستعمار الكولونيالي الإنكليزي إلى العاصمة المتروبولية "لندن" للدراسة، وخاض مغامرته الاستكشافية الخاصة.. كتب قصصاً قصيرة، وأصدر مجموعة واحدة، وأقام علاقات مع رجال ونساء قادمين من المستعمرات، إذ أن شخصيات كثيرة تزدحم بها هذه الرواية القصيرة نسبياً. تظهر وتختفي. ولا نكاد نتعرف على معظمها جيداً، ولكنها جميعاً تساعدنا في تفهم شخصية ويلي تشاندران/ بطلنا. وبعد أن تعرف على آنا الآتية من أفريقيا سافر معها وقضى هناك ثماني عشرة سنة قبل أن يقرر تركها والمضي مرة أخرى نحو المجهول.. إن "نصف حياة" هو النصف الذي خسره "ويلي"، وهو يقف الآن على أعتاب نصفه الآخر/ الأخير من دون أن يكون موقناً من أنه سيحقق ما يريد.. هذا إذا كان يعرف، على وجه التحديد، ما يريد.

سبق لهذا الموضوع ان نشر في صحيفة المدى ٢٠٠٧

نايبول يرحل مخلفاً حياةً مثيرةً للجدل

علي حسين

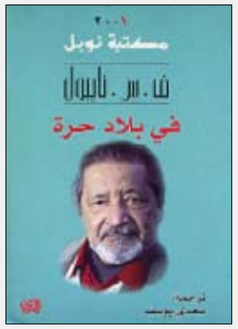

يرحل فيديادر سوراجبراساد نايبول، الذي وصفته مجلة تايم الأميركية، بأنه الروائي الأول، بعد أن كان يستعد للاحتفال بعيد ميلاده الخامس والثمانين، وكان في سنواته الأخيرة، قد فضل الوحدة ليعيش في كوخ معزول في الريف الإنكليزي.

٨٥ عاماً توجها بالكتب والمواقف المتناقضة عن الهوية والمكان وبجائزة نوبل التي حصدها بعد انتظار عام ٢٠٠١، وكان ذلك بعد شهر من الهجمات على مركز التجارة العالمي في نيويورك، في ذلك الوقت كتب نايبول مقالاً في النيويورك تايمز، يتساءل فيه "كيف تستطيع أن تحارب الإرهاب إذا عملت مع حلفاء إرهابيين؟ إذا كنت ضيفاً في بلاد ما كيف تستطيع أن تفعل ذلك بمضيفك؟. لا حل إلا بإعادة الاسلام (دين ضمير) وإحكام اليد على الأموال. إذا أخذ المال يختفي الإرهاب".

لم يصدق حصوله على جائزة نوبل حين أخبرته زوجته بأن رئيس الأكاديمية السويدية على الهاتف يريد أن يعلمه بفوزه، لأنه ظن أن أحداً ما يريد أن يمازحه، قبل إعلان الجائزة كان قد أمضى ليلة قلقة. أحس بتعب فكري بعد استعادة أعماله: "كأنني شعرت بمشاق كتابة كل تلك الكتب. بدت رحلة طويلة الى درجة سخيفة وشعرت بتعب كبير، كبير، وتساءلت كيف سأتمكن من الاستمرار"، ويتذكر أن الجائزة كانت تخذله كل عام منذ أن ذهبت عام ١٩٩٢ الى مواطنه الكاريبي ديريك وولكوت، الذي استمر في توجيه سهام الانتقاد الى نايبول، لأنه يرتكب حماقات عنصرية لا يرتكبها الكاتب الجاد على حد قوله، لكنه امتدحه باعتباره صاحب بلاغة ممتعة وعظيمة شوهت بسبب التعصب، وقد كتب نايبول بعد ذلك يقول: "كتبت بتعاطف كبير عن أفريقيا. كانت طريقتي قاسية لكنها حافلة بالشفقة ورؤية المصاعب".. إلا أن لجنة جائزة نوبل كان لها رأي آخر بالكاتب الذي وصفته بأنه: "يملك رؤية متكاملة في رواياته، ويمتلك أيضاً وجهة نظر محايدة ونزيهة في الأعمال التي تتناول التواريخ والحضارات الأخرى."

فيما قال الناقد الإنكليزي الشهير تيري إيغلتون، إن نايبول: "مزيج من الفن العظيم والسياسة المروعة". وصفه صديقه الكاتب الأميركي بول ثيرو، في كتابه "ظل السيد نايبول" بأنه إنسان بائس تنتابه حالات من الهوس الجنسي والعنصري.

ولد نايبول في السابع عشر من آب عام ١٩٣٢، لعائلة وصلت من الهند إلى ترينيداد إحدى جزر الكاريبي، وهو جزء مما سماه في وقت من الأوقات "مجتمع آسيوي مهاجر في جزيرة صغيرة في العالم الجديد". لقد كان مجتمعاً لم يشعر أبداً بالراحة فيه، يصفه بأنه مجتمع "فظيع جداً" ويطلق على عائلته وصف "رهيبة" لأنها تضم أعداداً كبيرة من الأفراد، وقد أتاحت له منحة حكومية عام ١٩٥٠ أن يهرب من هذا الجو العائلي الخانق ليكمل دراسته للغة الإنكليزية في أكسفورد: "عندما وصلت إلى أكسفورد شعرت أنني تخليت عن ملابسي وأنني شخص قبيح، أسود، خالٍ من أية محاسن وليست لديَّ أي خلفيات، ولا أمتلك سوى الوحدة، وذكائي."

ولأنه كان يحلم بأن يصبح كاتباً منذ أن كان في العاشرة من عمره، فقد حاول أن يكتشف "الكتابة" أثناء دراسته الجامعية، لكنه بدلاً من ذلك عاش فترة صعبة كان يعاني فيها من "العزلة واليأس" ويكتب في دفتر يومياته: "لقد كنت مستعداً للعيش وسط هذه الأجواء، لأنني أشعر بأنني أكثر ذكاءً بكثير من معظم زملائي في الكلية". في عام ١٩٥٤ يبدأ في كتابة روايته الأولى التي يسميها "عامل التدليك المتصوف" وهي رواية وصفت بأنها مفعمة بالحيوية تتحدث عن الأشخاص الذين يواجهون العالم بصلابة رغم أنهم بلا دعم ويفتقرون الى القوة. أصر على أن يكتب روايته الأولى باللغة الإنكليزية، مما أثار استهجان مواطنيه الذين وصفوه بأنه رجل بلا جذور، متعلق بالغرب، يخجل من أصوله الهندية، يرد على منتقديه بأنه لايعرف غير حضارة واحدة ومكان واحد هو لندن: "أي مكان آخر كان خداعاً للعقل، الوطن من أجل ماذا؟ هل هو من أجل أن أنحني أمام رجالنا العظماء؟ أم للاختباء، وبالنسبة لأناس في مثل وضعنا، أناس اقتيدوا للعبودية، فإن هذه أكبر خدعة على الإطلاق، نحن لانملك شيئاً، بل نعزي أنفسنا بالفكرة الخاصة عن الرجال العظماء لقبيلتنا، ولكننا نخفي أنفسنا، أي نقول خذ رجولتي واستثمرها لي، أو خذ رجولتي وأصبح رجلاً عظيماً من أجلي، لا، إنني أريد أن أكون رجلاً بنفسي".

يواصل الكتابة بالانكليزية، لتصدر له روايات "شارع ميجيل، نصف حياة، منعطف النهر، في بلاد حرة، بذور سحرية، منزل السيد بيسواس، المحاربون". بعد حصوله على نوبل، يتوقف لاكثر من عام ثم يعاود الكتابه: "المعجزة الكبيرة انني استطعت أن أبدأ الكتابة من جديد فما زال القلق حاضراً من أن أفشل قبل أن أبدأ". يؤمن مثل كاتبه المفضّل مارسيل بروست، مؤلف "البحث عن الزمن المفقود" بأن الروائي: "لايكتب بالجانب الاجتماعي من حياته لأن هناك ذاتاً أخرى داخلنا تدفعنا الى البوح". "ما نقدمه في الكتب هو إفرازات روحنا الشديدة العمق".

في عام ١٩٥٩ يفوز بجائزة سومرست موم عن مجموعة من القصص القصيرة. يحصل على جائزة البوكر البريطانية عام ١٩٧١ عن روايته "في بلاد حرة" التي وصفتها لجنة الجائزة بأنها "سمفونية داكنة عن الاغتراب"، إضافة الى الروايات، يقدّم صوراً قاتمة للهند وإفريقيا والإسلام في سلسلة من قصص الرحلات، كانت أولاها عام ١٩٦٤ بعنوان "منطقة الظلام" و"يوميات الكونغو" في عام ١٩٨٠ و ١٩٨١ بين المؤمنين. وقد وصف إدوارد سعيد ما كتبه نايبول، بأنه "شاهد على الادعاء الغربي"، وأضاف سعيد، إن نايبول ليس فقط "غير مهتم بالعالم الثالث على الإطلاق"، لكن رواياته كانت مليئة "بالجهل والأميّة". فيما أعلن نايبول أنه غير مكترث بالانتقادات، كما أوضح للأوبزيرفر في عام ٢٠٠٨ : "عندما أقرأ هذه الأشياء، أشعر بسعادة غامرة إنهم لا يجرحونني على الإطلاق".

المرأة والرواية.. سياطُ الكاتب نايبول التي لا ترحم

سلوى جراح

"ف. س نايبول" الذي يطلق عليه البعض لقب "سيد النثر الإنكليزي المعاصر" والحاصل على جوائز أدبية رفيعة، ابتداءً بجائزة سومرست موم، الروائي والمسرحي البريطاني الشهير، لعام ١٩٦٠ ثم جائزة بوكر لعام ١٩٧١ وجائزة نوبل للآداب لعام ٢٠٠٨، كاتب بريطاني من مواليد ترينيداد في البحر الكاريبي من أبوين هنديين، يتمتع بشهرة واسعة كروائي وكاتب مقالات نقدية، رغم أن العديد من كبار مفكري وأدباء عصره، من أمثال إدوارد سعيد وديريك والكوت، يتهمونه بأنه مدافع عن الكولونيالية الجديدة و أنه يجد لها الأعذار والمبررات فيما يكتب من روايات، ومقالات عن رحلاته ولا ينصف العالم الثالث وشعوبه، وحين منح لقب "سير" عام ١٩٨٩، أغضب ذلك العديد من الدول التي كانت تابعة للتاج البريطاني أيام الإمبراطورية بسبب وصفه لهذه الدول في أحد أعماله بأنها، مجتمعات "نصف مصنوعة".

حتى الأكاديمية السويدية قالت عنه حين منحته جائزة نوبل، إنه شبيه جوزيف كونراد، الذي عاصر الإمبراطورية البريطانية أيام عزها، والذي عرف عنه عدم تعاطفه مع فكرة الديمقراطية والاستعلاء على الفقراء رغم أنه صور معاناتهم في معظم ما كتب" ف. س نايبول" لا يتورع عن مهاجمة كبار الكتاب الذين تركوا بصمتهم في تاريخ الأدب الإنكليزي، فتوماس هاردي: "لا يطاق ولا يجيد الكتابة" وهنري جيمس: "أسوأ كاتب في العالم" وإرنيست همنغواي: "لم يعرف يوماً تحديد ما يريد أن يكتب" وتشارلس ديكنز: "رواياته مليئة بالكلام الفارغ" لا بأس، فكلنا يذكر مقالة برنارد شو الساخرة عن وليام شكسبير والتي تحمل عنوان "من يريد شكسبير"، لكن نايبول أضاف مؤخراً شيئاً جديداً إلى قائمته الهجومية، فقد قال في مقابلة مع صحيفة Evening Standard، وهي صحيفة لندنية شهيرة لم تعد تباع منذ بضع سنوات، وأصبحت تعطى بالمجان للمسافرين على شبكة قطارات الأنفاق، قال في مقابلة للصحيفة، إنه ليس هناك امرأة روائية من الماضي أو الحاضر يمكن أن تقارن به، أو تكون ندّاً له، فالنساء "عاطفيات ولهن رؤية ضيقة للعالم ربما لأن المرأة لا تشعر أنها الربة الحقيقية لبيتها، فالكلمة الأخيرة دائماً للرجل، حتى ناشرته لم تسلم من شره، "كانت مُراجعة جيدة للنص وناقدة حذقة، ولكنها حين كتبت رواية، وقعت في شرك أنثوية المرأة، الطريف أن المقابلة أجرتها معه صحافية "سيدة" وسألته عن عدد كبير من الكاتبات على مر العصور من جين أوستن مروراً بفرجينيا وولف وإيريس ميردوخ، لكنه ظل مصراً على رأيه: "المرأة لا تحسن التعبير لأنها تسقط في شرك الرومانسية" لا شك أن العديد من النساء سيرفضن هذا الكلام ويستشهدن بعشرات الكاتبات المبدعات. أنا شخصياً استحضرت في رأسي إسمين، الأول لكاتبة إنكليزية شهيرة من العصر الفكتوري ماري آن إفانز المعروفة بإسم، جورج أليوت. هذه الروائية والصحافية والمترجمة، اختارت اسماً رجالياً كي تنجو بنفسها من الصفات المحفوظة التي تطلق على المرأة، مثل "الرومانسية وضيق الأفق" كما يقول نايبول.

وكان لديها سبب آخر خفي، هو الابتعاد عن أضواء المجتمع بسبب علاقتها برجل متزوج استمرت على مدى عشرين عاماً، وقد تركت جورج اليوت تراثاً أدبياً وبصمة في تاريخ الرواية الإنكليزي والجبل الذي درس المرحلة الثانوية في العراق في الستينيات، قرأ رواية أليوت الشهيرة "سايلس مارنر" التي تصور شقاء الإنسان الفقير. الكاتبة الثانية التي طرقت أبواب ذاكرتي وأنا أراجع المقالة المنشورة أمامي، هي الكاتبة الفرنسية الشهيرة جورج ساند التي سبقت اليوت ببضع سنوات، لكنهما عاشتا نفس المرحلة من القرن التاسع عشر. ساند حملت اسم الرجل مثل اليوت لكنها تشبهت به في كل تفاصيل حياتها. لبست ملابسه بحجة أنها مريحة، ودخنت سجائره في العلن، الأمر الذي لم يكن مقبولاً في زمانها، ومع ذلك أحبها عشرات الرجال، لعل أشهرهم فردريك شوبان ساحر البيانو العظيم، واستطاعت أن تجد لنفسها مكاناً في عصر الكتاب الكبار. تراسلت مع غوستاف فلوبير الروائي الفرنسي الشهير، وقال عنها روائي عظيم آخر، هو الروسي إيفان تورغينيف: "كانت رجلاً شجاعاً وامرأة عظيمة. وتلقت مديحاً وصداقة وود من بلزاك ومارسيل بروست، لكنها هوجمت أيضاً وبقسوة من أحد أعلام عصرها، الشاعر الفرنسي شارل بودلير، الذي قال عنها، إنها غبية وثقيلة الدم وأفكارها الأخلاقية لا تتعدى أفكار أي إمرأة ساقطة. لكن بودلير لم يعمّ قسوته على كل كاتبات عصره والعصور التي سبقته كما يفعل السير "ف. س نايبول" الذي شمل برفضه كل الكاتبات، بل هو يضيف أنه يستطيع أن يعرف كتابة النساء بمجرد ان يقرأ بضعة سطور أنا امرأة تكتب، أو لديها محاولات في الكتابة، وأرفض تماماً فكرة الأدب النسائي، فالأدب هو الأدب سواء عالجته إمرأة أم رجل، المرأة حين تكتب تكابد هم الكتابة تماماً كالرجل، وتعبّر عن همها.

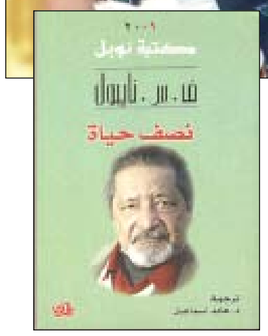

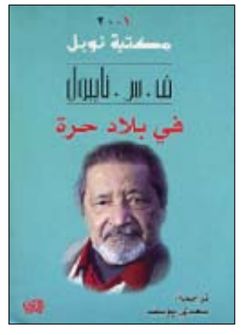

ف. س. نايبول: النساء لسنَ سيدات في البيت ولا في الكتابة!

ترجمة / عادل العامل

سبق للكاتب المعروف ف. س. نايبول، وأن دخل في شجارات ومشاحنات أدبية بشأن الكاتبات من النساء، وقد عاد الفائز بجائزة نوبل للأدب إلى ذلك ووجّه مؤخراً لطمةً للمؤلفات، قائلاً إنه ليس هناك من كاتبة امرأة يعدّها مساوية له ـ وأفرد نقداً خاصاً لجين أوستن.

ففي مقابلة أجريت معه في جمعية رويال جيوغرافيك، بشأن عمله الأدبي، سُئل نايبول، الذي وُصف بأنه "أعظم كاتب حي للنثر الانكليزي"، عما إذا كان يعتبر أية كاتبة امرأة نظيراً أدبياً له. وقد رد على ذلك قائلاً "لا أظن هذا". وقال عن أوستن أنه "لا يستطيع ربما أن يشاطرها الطموحات العاطفية، إحساسها العاطفي بالعالم".

وقال إن الكاتبات "مختلفات تماماً". وأضاف "إني أقرأ قطعة من كتابة وضمن فقرة أو فقرتين أعرف ما إذا كانت من تأليف امرأة أم لا. أعتقد بأنها غير مكافئة لي".

وقال الكاتب، المولود في ترينيداد في الكاريبي، "إن هذا هو بسبب عاطفية النساء، ووجهة النظر الضيقة إلى العالم". "فالأمر المحتّم بالنسبة للمرأة، أنها ليست بالسيد الكامل للبيت، وينسحب ذلك على كتابتها أيضاً"، كما قال.

وأضاف "أن ناشرتي كانت جيدة كمتذوقة ومحررة، لكن حين أصبحت كاتبة، حصل كل هذا الهراء الأنثوي. وأنا لا أقصد هذا بطريقة فظّة". النقد من المؤلف ليس بالأمر المدهش. فنايبول ليس غريباً على النقد. وكان في الماضي قد نقد أبرز مؤلفات الهند لـ"تفاهتهن" في الموضوع الذي اشتُهر بالكتابة عنه، ميراث الكولونيالية البريطانية.

كما كان له نزاع طويل المدى مع المؤلف وكاتب الأسفار الأميركي بول ثيرو. وقد وصلت صداقة الـ ٣٠ عاماً بينهما نهاية مفاجئة، بعد أن اكتشف ثيرو، أن كتاباً كان قد أعطاه لنايبول قد عُرض للبيع بسعر ٩١٦ جنيها. ورفضت جمعية كتّاب بريطانيا العظمى أن تضع وقتها بشأن تلك التعليقات. وقال الصحافي الأدبي أليكس كلارك تعليقاً على ذلك "هل يقول إن كاتبات مثل هيلاري مانتل، و أ.س. بايات، وإيريس مردوك، عاطفيات أو أنهن يكتبن هراءً أنثوياً؟" كما وصفتها الناقدة الأدبية هيلين براون بأنها "تعليقات متعجرفة، تبحث عن اهتمام. وكان عليه الالتفات إلى كلمات جورج إليوت ـ وهي امرأة كاتبة ـ التي كان لأعمالها تأثير أعمق بكثير على الثقافة العالمية من أعماله هو".

من قائمة أفضل الروايات.. "انعطافة النهر" (رقم ٩٠) للروائي نايبول

إعداد وترجمة: ابتسام عبد الله

إن الرؤية الجهنمية ف. س. نايبول لطريق شعوب أفريقيا للاستقلال، أظهرته عنصرياً، ومع ذلك، فإن هذه الرواية هي من أفضل أعماله. ونايبول في عام ٢٠٠٧ كان في أوج عطائه، وأصبح من أعظم كتّاب النثر باللغة الإنكليزية. و"انعطافة النهر" التي كتبها نايبول بتلك الرؤية الخلاقة، التي يقول عنها "تبقى غامضة" وهي قد تكون الأكثر إثارة للمشاعر الداخلية للمؤلف.

و"سالم" القادم من الساحل الشرقي لأفريقيا ومن عائلة تمارس التجارة، أسس عائلة ووضع جذوره في أرض أفريقية غير معروفة، كتاجر، وفتح محلاً في مدينة بلا إسم، عند انعطاف النهر، وسالم مثل نايبول نفسه، واقع تحت وهم عمله، ويعلنان في نفسيهما "أن العالم هو هكذا، ومن يسمح لنفسه أن لا يصبح شيئاً، لن يملك مكاناً فيه".

ويتساءل نايبول، أهذه الكونغو؟ متذكراً رحلة قام بها الى كينشاسا في عام ١٩٧٥، ورؤيته متخيّلاً منظراً طبيعياً، ويتذكر بوضوح مرة أخرى المنظر الطبيعي للمدينة التي فتح فيها سالم دكّانه، كانت عربية أولاً ثم تم استعمارها لتصبح مجتمعاً قبلياً مصغراً جاهلاً وثرياً ومحتقراً للإنسان.

وقصة سالم وهو دكتاتور أفريقي بسبب اندلاع موجة قتل عنيف وقصة حب مؤلمة عقدته، إن بدء أعمال العنف سيكون دافع الرجل الكبير للتدخل. ونايبول الذي ينحدر من عائلة هندية مثل "سالم"، بلغت نظرة هذه الأعمال الشريرة وخطورة المشهد في الوقت نفسه يكون لا يحتمل بسبب الخشونة في التعامل والوحشية، وقصة سالم تصور مشهداً للفوضى والتراجع في لحظة من ما قبل الاستعمار، ذلك الأمر الذي جعل من نايبول غير قادر على توجيه التهم المتعلقة بسياسة مرتدة.

وفي النهاية وعندما يلح إدوارد سعيد في مهاجمة الرواية ويقول "إن العداء للإسلام، وللعرب، ترشح رواية "انعطافة النهر" لنيل جائزة البوكر في عام ١٩٧٩، ربما لأن نايبول كان قد حصل عليها في عام ١٩٧١ وكان آنذاك في دولة حرة، كان يمر بها.

وعندما قابل أحد الصحافيين نايبول في عام ٢٠٠٨، لم يبد اهتمامه وكان آنذاك قد رشح لـ (نوبل).

عن "الغارديان"

مات الروائـي ف. س. نايبول

شاكر الأنباري

لم يصل إلينا من كتاباته سوى عدد ضئيل من الروايات، والقصص، ترجمت إلى العربية بترجمات متعجّلة، ركيكة بعض الأحيان. الكاتب الحائز على جائزة نوبل العام ٢٠٠١ هو وريث حضارات، وثقافات مختلفة، فعائلته هندوسية من الهند، هاجر جده إلى ترينيداد، وكانت مستعمرة بريطانية تقع في قارة أميركا اللاتينية واشتغل هناك قاطع قصب سكر، فيما أصبح أبوه صحافياً من الدرجة الثانية، بينما هاجر نايبول إلى بريطانيا ودرس في جامعة أكسفورد، وكتب مؤلفاته التي تزيد على الثلاثين، بين الرواية والقصة والبحث، باللغة الإنكليزية. عاش متنقلاً بين أفريقيا، والهند، وأميركا، وبريطانيا، ومصر، ثم كتب عن كل ذلك الموروث الحضاري، والثقافي، عبر شخصيات بينها المسلم الهندي، والأفريقي من الساحل الشرقي، والإنكليزي، والأميركي، والترينيدادي، والعربي. ولذلك جاءت رواياته، حسب توصيف اللجنة المانحة لجائزة نوبل، تنويعاً حكائياً بروح شعرية عميقة لحقبة الاستعمار، وتفاعلاتها في روح الشخصيات. أبرز ما ترسمه أحداثها، وشخصياتها، وبيئتها، هي معاناة الاغتراب، وفقدان الجذور المجتمعية، والفولكلورية، وصعوبة ذلك على الصعيد الإنساني. جاءت مقاربات نايبول للشخوص في رواياته حاملة ذلك التوتر الحضاري، والديني، والسلوكي، مع غياب الطريق الواضح للخلاص. فالاستلاب البشري شامل، يمكن تلمسه وعرضه عبر اللغة لكن يستحيل الخلاص منه. إنه سمة عصر وتطور صناعي وتقني منفلت ولا يمكن إيقافه.

لم يكن نايبول يهتم كثيراً بحبكة رواياته، أو ترابط موضوعاتها، بقدر ما عني بإيصال روح الحدث، ومشاعر البشر الذين فقدوا أوطانهم، أو وجدوا صعوبة في التأقلم مع بيئات الهجرة الجديدة. ولهذا، كثيراً ما وجد قارؤه حوارات طويلة، هدف منها الكاتب الوصول إلى جوهر معاناة المتحدث، وهمومه. حوارات ربما نجد حدوثها على صعيد الواقع شبه متعذر، بخاصة وهي تلخص رؤية فلسفية، أو ثقافية، حول التخلف والتقدم، الهجرة والتوطن، المواطن الأصيل والمواطن المغترب. ومن ملامح سرد نايبول أيضاً، تلك الانتقالات السريعة، والمفاجئة، بين الأمكنة. يكون الحاضر في قارة أوروبا، ثم ينتقل الشخص عبر ذاكرته، وتداعياته الذاتية، إلى أفريقيا، أو إلى مدينة هندية بعيدة، وهذه واحدة من أهم مفارقات الكتابة لدى نايبول. وهي مفارقة راح يشهدها العالم اليوم بعد الموجات المليونية للمهجرين، والنازحين، والمغتربين.

تصاعدت في العقد الأخير لتكون واحدة من فضائح حضارتنا المعاصرة، دون أن يستطيع أحد الحد منها أو ايقافها، فضلاً عن أنها في تنام مهول، نتيجة حروب الجشع، والهيمنة، والتطرف. ومثلما يتحرر نايبول من عقدة المكان وأسواره، فهو يفعل الشيء نفسه مع زمان أحداثه، فتراه ينتقل بين الحاضر والماضي، أو يتوغل في الأزمنة المتوازية ليخلق من كل ذلك سمفونية من الشخصيات، والأمكنة، والحوارات، والمدن، والبلدان، في سعي هادف، ومبرمج، لرصد وإمساك روح العصر وإيقاعه المنفرط خارج أسوار المحلية، بأغلاقها الدينية، والمذهبية، والتقاليد المهيمنة، والثقافات الموروثة التي لم تعد تصلح لهذه البرهة من التاريخ. كل تلك الانطباعات، وغيرها، يقع عليها قارئ نايبول في رواياته: شارع ميجيل، وفي منعطف النهر، ونصف حياة، واخيراً من أقتل، وسواها من الكتب. نثر نايبول هو سمة عصرنا المأساوية، السابحة في الفوضى، القاسية، المشتتة، المهيمنة اليوم بالكامل على الفضاء الملوث لكرتنا الأرضية.

نايبول... البحث المسعور عن الخلاص الفردي

فاضل السلطاني

من يحب ف. س. نايبول الإنسان، ذو اللسان السليط، الذي رحل أول أمس عن ٨٥ عاماً؟ قليلون. فقد دخل في معارك «أدبية» حتى مع أصدقائه المقربين، ومنهم الإنسان الذي كان الأقرب إليه، الشاعر ديريك والكوت، النوبيلي مثله، وابن بلده، ترينيداد؟ ولم يترك بلدا وجنسا إلا هجاه، حتى أسرته، البلد الذي آواه، بريطانيا، لم يسلم من لسانه، رغم أنه تصالح معه أخيراً. رجل ساخط، متبرم من كل شيء، حتى من نفسه، ربما بسبب ذلك الخليط العجيب، الذي ولده: الهند، الجزيرة الكاريبية، وأخيراً الجزيرة الإنكليزية.

ولكن من لا يحترم نايبول أديباً وكاتباً وروائياً وناثراً؟ قليلون. وقد أشار إدوارد سعيد لذلك، حين انتقد رؤية نايبول الاستشراقية في كتاباته ورواياته، لكنه اعترف أنه ككاتب يفرض عليه احترامه وتقديره.

وإدوارد سعيد ليس وحيداً في ذلك. لقد فرض نايبول احترامه على الجميع تقريباً، حتى أعدائه وهم كثر، رغم أن آراءه عن شعوب، وأمم، وأديان، وحضارات صادرة عن هوى ذاتي، وليست موضوعية إطلاقاً، وقراءاته للتاريخ يصيبها التعسف، وسوء النية، وعدم الحياد في مواضع كثيرة.

الأكاديمية السويدية لم تكن على صواب قط حين ذكرت في حيثيات منحه جائزة نوبل عام ٢٠٠١ أنه "يملك رؤية متكاملة في رواياته، ويمتلك أيضاً وجهة نظر محايدة ونزيهة في الأعمال التي تتناول التواريخ والحضارات الأخرى".

كلا، لم يكن الأمر كذلك. ربما يحترم الكثيرون نايبول لسبب واحد: صدقه. وهذا الصدق لا يعني أنه على صواب. لكننا نشعر أنه على صواب داخل النص، وليس خارجه، وأن دعواه تنتقل إلينا، بالرغم منا. وهذا ما يفعله كل أدب عظيم. أن يأخذ النص إليه، ويأسرك، ويجمد عقلك وأحاسيسك الأولى، ليحل فيك ما يريده هو، قبل أن تعود لعالمك الأول، وذاتك، وعقلك... وقد لا تعود. يشعر القارئ أن هناك شيئاً يعذب نايبول، وهو يصدر عن هذا العذاب، وأن هناك ميلاً، يقترب من درجة الهوس، لرؤية الأشياء كما يريد. لقد هجا ترينيداد، الغارقة في الجهل والتخلف، كما يقول، ولكنك تشعر أن وراء هذا الهجاء الذي يقترب من البغض، رغبة في أن يراها كما ينبغي أن تكون. هجاء دافعه الحب العميق الذي قد لا يبين.

لم يعرف نايبول ذاته إلا أخيراً. ولعله لهذا السبب أعلن أنه سيعتزل الكتابة قبل نحو عشر سنوات. لم يبق سوط هناك يجلده. لقد شعر، في سنواته الأخيرة في بريطانيا، أنه تصالح مع نفسه، وماضيه، وانتمائه، وما عاد يبحث عن شيء، أو يسعى لدمج الوطن الجديد بالوطن القديم، والثقافة القديمة بالثقافة الجديدة، على عكس والكوت، الأكثر أصالة.

ربما كان نايبول صادقاً حين كتب عام ١٩٩٠: «إن رحلتي من ترينيداد إلى إنكلترا هي رحلة من الخارج إلى المركز، من الأطراف إلى القلب، قلب الحضارة الغربية، التي هي المركز، وكل ما عداها هي أطراف ولا بد لها أن تنضوي تحت لواء الغرب". وكان قد كتب عندما وصل إلى هذا البلد وهو في الثامنة عشرة من عمره: «عندما وصلت إلى بريطانيا شعرت أنني بلا ملابس، وأنني شخص قبيح أسود». لقد حل «لغز الوصول». كفّ عن البحث عن جذوره، وانطفأت جذوة الكتابة، التي أعطتنا روايات ليس من السهل أن ننساها كـ«منطقة مظلمة" و"في بلد حر»، و«منعطف النهر»، و«وهم الظلام»، وخصوصاً «منزل السيد بسواس»، الذي لم يكن سوى نايبول، المتأرجح، شبه الضائع، المقذوف في الهواء، الباحث دائماً عن خلاصه الفردي.

عن "الشرق الأوسط"

نصف حياة نايبول: إشكالية العلاقة بين روحانية الشرق وبراغماتية الغرب

إبراهيم حاج عبدي

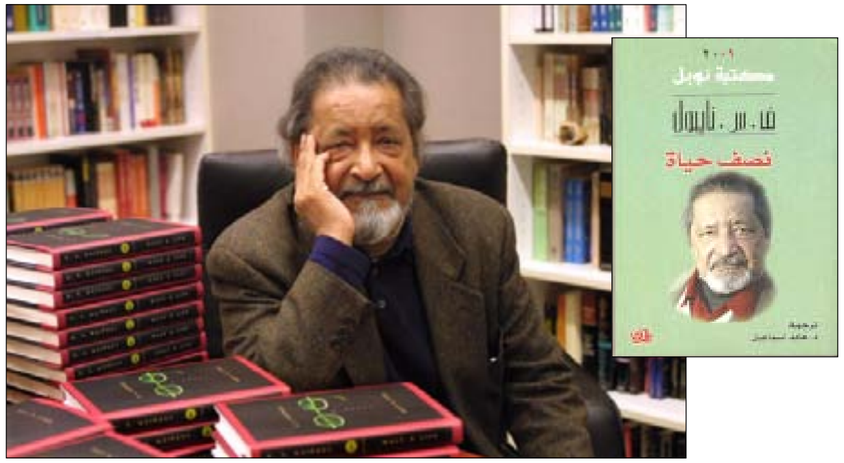

يمكن تصنيف رواية "نصف حياة" للروائي الفائز بجائزة نوبل الآداب ٢٠٠١ ف.س نايبول والصادرة في ترجمة عربية وقعها عابد إسماعيل عن "دار المدى" (دمشق، ٢٠٠١) ضمن تلك الروايات التي تطرقت إلى قراءة العلاقة الإشكالية بين الشرق بروحانيته وسحره وطقوسه الغريبة من جهة، والغرب بماديته ووضوحه وبراغماتيته من جهة أخرى، لكن هذه الثنائية التي طالما قاربتها النصوص الروائية لا تشكل الهاجس الرئيس لهذه الرواية، فهي رواية أمكنة، وشخصيات وحالات أقرب إلى "أدب الرحلات" تحاول رسم صورة لشخصية نهلت من ثقافات عدة، وتنتمي لأسرة جعلته يعيش مشاعر متضاربة تنزع نحو "قتل الأب" و"حتى الحب الذي شعر به تجاه والدته كان مملوءاً بالألم".

فنحن حيال بطل يحاول التخلص من إرثه الثقيل، ويبحث عن صوته الخاص وسط سحب الأمكنة التي عاش فيها والتي منحته "نصف حياة" في كل محطة. إنه ويلي تشاندران صاحب الطموح والأحلام، لكنه لا يستطيع أن يصوغ أمنية بعينها "فالحياة تنصب له شراكها القاسية". ولا تترك له فسحة واعية لأن يسأل نفسه عما حققه، وإلام يهدف؟ الأقدار تقود خطوته، وهو مستسلم من دون تذمر للإصغاء إلى ما تمليه عليه نوائب الدهر ومباهج اللحظات العابرة.

رواية "نصف حياة"، تقدم سيرة ويلي تشاندران، فتسرد في القسم الأول طفولته، حيث يقوم والده هنا بدور الراوي على إثر سؤال وجهه له الابن حول سبب اسمه الأوسط "سومرست" وهو كاسم الكاتب الإنكليزي "سومرست موم"، يفتح هذا السؤال شهية الوالد الذي راح يروي لابنه ويلي حكايات الطفولة وأيام الشقاء وشعوره بالاضطهاد "بسبب فراغ عالمنا وخنوع حياتنا". وذكّر الابن بما كتبه عنه سومرست موم بعد زيارة قام بها الأخير إلى بلادهم الهند، وكيف أنه استجاب لنداء المهاتما، وأضرم النار في أشعار شللي، وكيتس، ووردزورث مقاطعاً الثقافة الإنكليزية، ومقرراً أن يجعل من نفسه أضحية، وعزمه على الزواج من أدنى امرأة يمكنه العثور عليها، وهي "فتاة المنحة" التي ستصبح والدة ويلي.

وحين يروي الوالد كل ذلك يصف مشاعره آنذاك: "كنت مثل طفل يرى السماء معكوسة في بركة بعد المطر، وسمحت لقدمي أن تلمس البركة، راغباً في أن أشعر بالخوف حيث أنا آمن، وعلى أثر تلك الملامسة ارتدت على البركة فيضانا كاسحا يجرفني سبيله الآن... ولم يعد العالم مكاناً عادياً مملاً.. بل مكاناً تجري فيه سيول سرية يمكنها في أي لحظة أن تجرف معها الغفل".

إن القناعات التي آمن بها الأب، وحياة التضحية التي عاشها لا تستهويان ويلي الذي يبحث عن مخرج من هذه المتاهة، فيرسله والده بمساعدة صديق له إلى لندن، وهنا تبدأ ملامح حياة أخرى بالتشكل، فنقرأ كلمات الراوي المجهول، بضمير الغائب، وهو يروي فصولاً من حياة ويلي في هذه المدينة التي شعر فيها بأنه "يسبح في الجهل وبدأ ويلي يدرك أنه حر في تقديم نفسه بالطريقة التي يرغب". إن مدينة لندن التي قدم إليها ويلي في النصف الثاني من القرن العشرين لا تشبه مطلقاً تلك البلاد التي غادرها، فهو يجد هنا ثقافة مختلفة، وشخصيات جديدة، ويقيم علاقات صداقة مع زملاء في الكلية، ومحامين وناشرين ويتأقلم مع هذا المناخ الجديد المنفتح على أكثر من صعيد والذي يتيح له إقامة علاقات عاطفية. جنسية مع الفتيات هو القادم من بيئة تنظر إلى مثل هذه العلاقات على أنها خطيئة.

إن ما يؤرق ويلي في لندن هو السؤال الذي يلح عليه، إلى أين سيمضي بعد أن ينهي دراسته؟ وهنا تظهر في حياته الفتاة الأفريقية المنحدرة من أصول برتغالية أنا التي أعجبت بقصصه، فيقرر ويلي الذهاب معها إلى بلدها الأفريقي البعيد لتكون أفريقيا، هي المحطة الثالثة في حياته، والتي حين وصل إليها راعته غرابة المكان وقسوته، فقال: "لا أريد لهذا المنظر أن يصبح مألوفاً، يجب ألا أتصرف وكأنني سأمكث هنا" لكنه مكث في هذا المكان مدة ثمانية عشر عاماً، حيث يقوم ويلي بسرد هذه الحياة الأفريقية بضمير المتكلم لشقيقته ساروجيني في برلين، حيث تزوجت من ألماني في القسم الثالث والأخير من الرواية، فهو يفتش الآن في ذاكرته ليلتقط شذرات من حكايات عاشها في ذلك البلد الأفريقي، بلد زوجته آنا، الذي كان يسوده المناخ الكولونيالي وتعيش فيه شخصيات غريبة، متمردة، تبحث عن أمجاد دفنت تحت رمال تلك البلاد التي خبرها ويلي طويلاً واستطاع أن يُعيد تفاصيل حياته في الأرياف والمزارع والحانات الليلية، وأن يرصد حياة الأفارقة بعنفوانها ونزقها وقسوتها، من دون أن ينسى خصوصية المكان بنباتاته ومناخه ومفرداته التي شكّلت له عالما غاب فيه فترة طويلة ليقرر ترك زوجته في النهاية والبحث عن مكان يحتضن ويلي الفرد الذي تلاشت حياته في حيوات الآخرين.

يبتعد نايبول في روايته هذه عن الإنشاء والتطويل، ولا يجنح مع المخيلة، بل إن لغته وعوالمه شديدة الالتصاق بالواقع، وهو يختار جملته في تكثيف ودقة محاولا تدويل الشيء الرئيس في ملامح الشخصيات، وتفاصيل الأمكنة، وهو رصين في سبر نفسية بطله ويلي، الذي يحاكي في هذه الرواية سيرة الروائي ف.س نايبول نفسه الذي ولد في ترينيداد عام ١٩٣٢ ونال جوائز عدة إثر مجموعة من الكتابات النقدية والروايات منها: "بيت للسيد بيسواس" (١٩٦١)، "في بلد آخر" (١٩٧١)، "منعطف النهر" (١٩٧٩). ولعل مما يلفت النظر في الرواية التي نحن بصددها هي تلك التقنية الفنية التي يسند فيها نايبول مهمة القص إلى أكثر من راوٍ وكأنه يستشهد بأكثر من صوت حتى يستطيع تقديم الصورة الكاملة لويلي تشاندران.

عن/ الحياة

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني
خالد خضير

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

حاز جائزة نوبل للآداب وناهض الفساد السياسي..

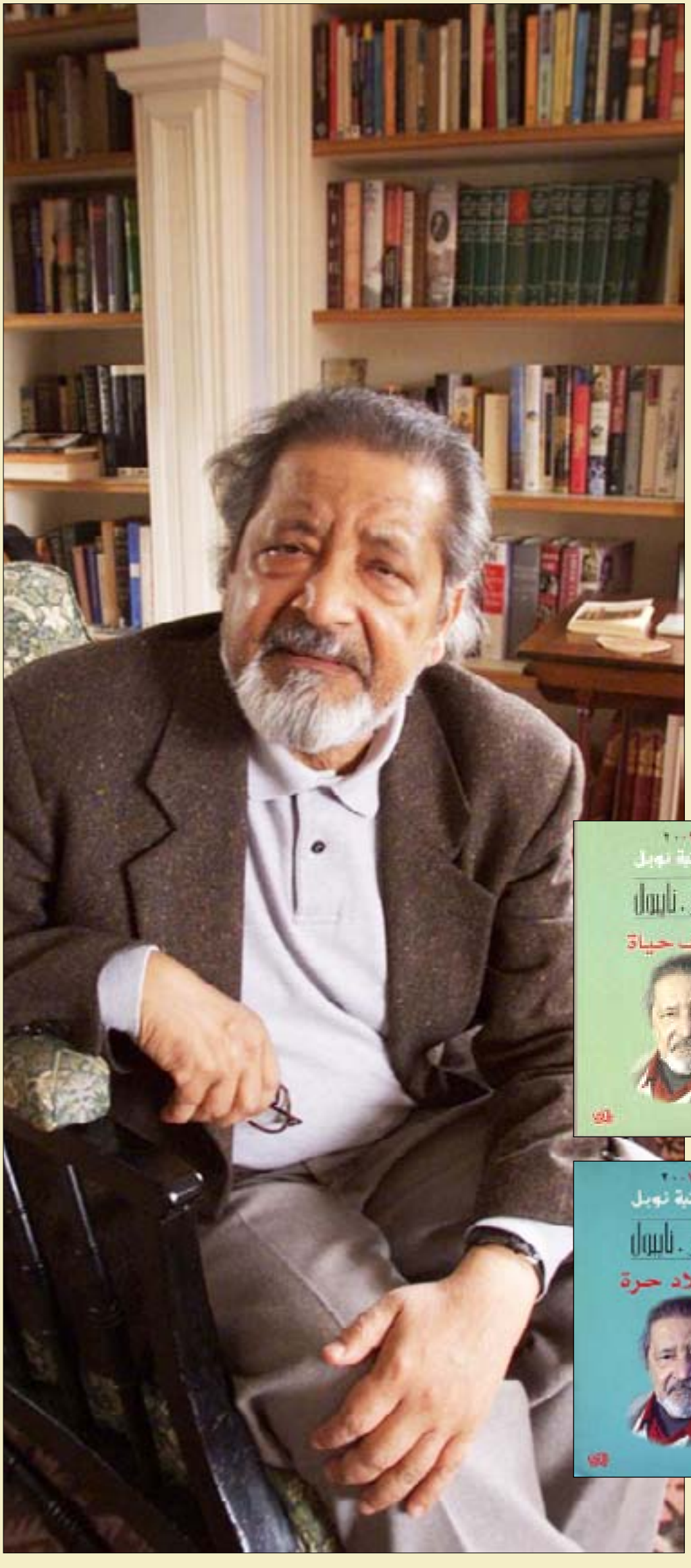

رحيل سوراجبراساد نايبول... أحد رموز الهرب من الماضي

يترك الروائي البريطاني الهندي الأصل ف.س. نايبول، الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠١ الذي توفي عن ٨٥ عاماً، إرثاً أدبياً غنياً، يتمحور خصوصاً حول الأزمات الاجتماعية التي عصفت ببلدان كثيرة بعد انتهاء الاستعمار البريطاني.

قالت زوجته نادرة نايبول في بيان «كان عملاقاً في كل شيء فعله، وقد مات محاطاً بمن أحبهم بعد أن عاش حياة مليئة بالإبداع الرائع والمبادرة». ألّف فيديادار سوراجبراساد نايبول أكثر من ٣٠ كتاباً مزج فيها بين الخيال والواقعية والسيرة الذاتية.

وُلد نايبول في ١٧ آب ١٩٣٢ في جزر الهند الغربية البريطانية، في بورت أوف سبين، عاصمة ترينيداد، لأسرة من المهاجرين الهنود. وحصل على منحة ليدرس الأدب الإنكليزي في جامعة أكسفورد قبل أن يستقر في إنكلترا في ١٩٥٣. أمضى الكاتب الراحل جزءاً كبيراً من حياته في السفر والترحال وأصبح رمزاً للتفلّت من الجذور في المجتمع المعاصر. ولدى منحه جائزة نوبل للآداب في ٢٠٠١، وصفت الأكاديمية السويدية أسلوب نايبول الأدبي بأنه «عصي على التقليد». ومن أبرز أعماله كتاب السيرة الذاتية «ايه هاوس فور مستر بيسواس" (منزل للسيد بيسواس) في ١٩٦٤ الذي يحمل بطله سمات من والد الكاتب. وحصل على لقب فارس من الملكة اليزابيث عام ١٩٨٩. ومن خلال هذا العمل، وصّف نايبول الصعوبة التي كان يواجهها المهاجرون الهنود في بلدان الكاريبي في الاندماج في المجتمع، مع الحفاظ على جذورهم.

كذلك لخصت الأكاديمية السويدية معاناة نايبول مشيرة إلى أن «الفقر الثقافي والروحي في ترينيداد كان يدمي قلبه، فيما باتت الهند غريبة عنه، واستعصى عليه اعتناق القيم التقليدية للقوة الاستعمارية الإنكليزية السابقة». وبعدما كرّس أول أعماله لجزر الأنتيل، وسّع نايبول آفاقه إلى العالم أجمع، وركّز خصوصاً على الأزمات التي عاشتها المستعمرات البريطانية السابقة بعد انجلاء الاستعمار. وقد دفع السعي إلى سبر أغوار النفس البشرية ومن خلالها فهم مكنونات الذات، بالكاتب والفيلسوف إلى زيارة الهند وإفريقيا والأمريكتين والبلدان المسلمة في آسيا.

ووصف نايبول المستعمرات البريطانية السابقة بأنها مجتمعات «غير مكتملة»، وحاز الروائي الراحل مكافآت أدبية عدة بينها جائزة بوكر العريقة (١٩٧١) عن رواية «قل لي من أقتل». كما نال وساماً من الملكة اليزابيث الثانية في ١٩٩٠.

التقى في أكسفورد زوجته الأولى بات، التي دعمته في مسيرته الأدبية. وبعد وفاتها في ١٩٩٦، كشف نايبول عن انطباع تكوّن لديه بأنه عجّل موتها بسبب معاشرته مومسات، فيما كانت تكافح جراء إصابتها بالسرطان. وخلال السنة عينها لوفاة بات، تزوج نايبول الصحافية الباكستانية نادرة ألفي. وقد عرف الروائي بأسلوبه المباشر كما بتخليه سريعاً عن معارفه. وقال في أحد تصريحاته "حياتي قصيرة. لا أستطيع سماع تفاهات".

وكان يحمل بشدة على مواضيع مختلفة من فساد الطبقة السياسية الهندية إلى السلوك المنافق في رأيه من الغرب مع المستعمرات السابقة. ولم يتوان عن تشبيه رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير، بقرصان يقود ثورة اشتراكية، كما كان ينتقد الأديبات اللواتي وصفهن بأنهن «وجدانيات». وأكد في مقابلة مع صحيفة «لندن إيفننغ ستاندرد» أن «النساء الروائيات مختلفات للغاية. عندما أقرأ جزءاً من رواية في مقطع أو اثنين، أعرف ما إذا كان مؤلفه امرأة أو رجلاً. أظن أن (عملهن) لا يوازي عملي». وعزا نايبول هذا الأمر إلى الأسلوب الوجداني للنساء ونظرتهن الضيّقة للعالم.

وكانت الآثار المدمّرة للاستعمار تمثّل مصدر قلق كبير في أعماله، ولكن في روايته شبه الذاتية الشهيرة «إنجما أوف آريفال" التي نشرت عام ١٩٨٧، يحكي نايبول عن كاتب من أصل كاريبي يشعر بالسعادة لدى عودته إلى وطنه إنكلترا بعد سنوات طويلة من التيه.

ووصف رئيس وزراء الهند ناريندرا مودي وفاة نيبول بأنها «خسارة كبيرة». وكتب مودي على موقع التواصل الاجتماعي (تويتر) "سنتذكّر السيد نايبول لما له من أعمال واسعة، التي غطّت مواضيع متنوعة، تتراوح بين التاريخ والثقافة والاستعمار والسياسة، وغيرها، رحيله خسارة كبيرة لعالم الأدب".